مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ١١: ٢٤– ٢٦، ٣٢ –٣٩)

يا إخوةُ بالإيمان موسى لمَّا كَبُرَ أبى أن يُدعى ابنًا لابنةِ فِرعون* مُختارًا الشَّقاء معَ شعبِ اللهِ على التمتُّعِ الوقتيّ بالخطيئة* ومُعتَبرًا عارَ المسيح غنًى أعظمَ من كُنوز مِصر. لأنَّهُ نَظَرَ إلى الثواب* وماذا أقولُ أيضًا. إنَّهُ يَضيقُ بي الوقتُ إن أخبرتُ عن جدعونَ وباراقَ وشمشون ويفتاحَ وداودَ وصموئيلَ والأنبياءِ* الذينَ بالإيمانِ قَهَروا الممالكَ وعملُوا البرَّ ونالوا المواعِدَ وسَدُّوا أفواهَ الأسود* وأَطفأُوا حِدَّةَ النارِ ونَجَوْا من حَدِّ السيفِ وتَقَوَّوْا مِن ضُعفٍ وصاروا أشِدَّاءَ في الحربِ وكَسَروا معسكَراتِ الأجانب* وأخذت نِساءٌ أمواتَهنَّ بالقيامةِ وعُذِّبَ آخرونَ بتوتيرِ الأعضاءِ والضربِ ولم يقبلوا بالنجاةِ ليَحصلوا على قيامةٍ أفضل* وآخرون ذاقوا الهُزءَ والجَلْدَ والقيودَ أيضًا والسِّجنَ* ورُجِموا ونُشِروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيف. وساحوا في

القديس البار يوحنا كاسيانوس

ولد أبونا البار يوحنا كاسيانوس الذي تعيِّد له الكنيسة المقدّسة في التاسع والعشرين من شباط، في قرية تجاور مصب نهر الدانوب في بلاد رومانيا الحالية. لا دلائل دقيقة على تاريخ ميلاده وإن كان الميل إلى مطلع الربع الثالث من القرن الرابع. تربّى في عائلة مرموقة المكانة والجاه، وفي كنفها برع في تحصيل العلوم الراقية الرائجة في تلك الأيام. نفسه التي بدت، منذ فتوته، تواقة إلى التعالي على الألق العالمي واهتمامات الحياة الأرضية صارت تشتهي الكمال بشوق. فعقد كاسيانوس عزمه على التوحّد والنسك وانطلق مصطحباً صديقه الأعز وشريك رغباته السامية جرمانوس إلى الأرض المقدَّسة. هناك اعتنق الصديقان الرهبنة في دير من أديرة بيت لحم.

كانت العادة بين الرهبان والنساك في تلك الأيام أن يتقصى طالبو الكمال أخبار بعضهم البعض للإفادة من الخبرات والتباري في الجهادات والفضائل. شأنه شأن رفقائه في الفضيلة والجهاد، تابع القديس كاسيانوس باهتمام أخبار الواحات الرهبانية الزاهرة آنذاك في فلسطين ومصر وبلاد ما بين النهرين وكبادوكيا. وبعدما تأصل قديسنا وصديقه جرمانوس في حياة الشركة الديرية، سافرا إلى برية مصر لمجاورة النساك الذين كانت أخبار فضائلهم وجهاداتهم ذائعة.

حلّ القديس كاسيانوس ورفيقه زمناً على أديرة للحياة المشتركة في دلتا النيل، ولكنّهما ما لبثا أن انطلقا إلى عمق الصحراء تقفياً لآثار نساك البراري المتوحدين. التمس الرفيقان مجالسة النساك القديسين ومحادثتهم، وكانا يعبّان منهم خبرات الحياة الروحية عباً. إزاء هذا الفيض من التعاليم والبركات، أيقن المجاهدان أن استيعاب تعاليم هؤلاء الآباء يتطلّب البقاء بجوارهم وقتاً طويلاً، لكنهما كانا قد وعدا رئيس ديرهما في بيت لحم بالعودة سريعاً إلى الدير. أحد شيوخ البرية القديسين هدّأ بالهما ناصحاً إياهما بالبقاء في برية مصر لئلا تضيع البذار الروحية التي تلقّفاها، ولا تثمر بسبب التسرّع والاستعجال. جال الرفيقان في برية

العدد ٢٠٠٤/٩
الأحد ٢٩ شباط
الأحد الأول من الصوم
أحد الأرثوذكسية
تذكار أبينا البار
كاسيانوس الروماني
اللحن الرابع
إنجيل السَحَرْ الرابع

جلودِ غنمٍ ومَعزٍ وهم مُعوزون مُضايَقون مَجهودون* (ولم يكنِ العالمُ مستَحقًا لهم). وكانوا تائهين في البراري والجبال والمغاور وكُهوف الأرض. فهؤلاء كلُّهم مشهودًا لهم بالإيمانِ لم ينالوا الموعِد* لأنَّ اللهَ سبقَ فنظرَ لنا شيئًا أفضلَ أن لا يكمُلوا بدوننا.

الإنجيل

(يو ١: ٤٤-٥١)

في ذلك الزمان أراد يسوع الخروج إلى الجليل فوجد فيلِبُّسَ فقال لهُ اتبعني* وكان فيلِبُّس من بيتَ صيدا من مدينة إندراوس وبطرس* فوجد فيلِبُّسُ نَثَنَائيلَ فقال لهُ إنَّ الذي كَتَبَ عنه موسى في الناموس والأنبياءِ قد وجدناهُ وهو يسوعُ ابنُ يوسف الذي من الناصرة* فقال لهُ نَثَنَائيلُ أمِنَ الناصرةِ يمكنُ أن يكونَ شيءٌ صالح* فقال لهُ فيلِبُّسُ تعالَ وانظرْ* فرأى يسوعُ نَثَنَائيلَ مقبلاً إليهِ فقال عنهُ هوذا إسرائيليٌّ حقًّا لا غِشَّ فيه* فقال لهُ نَثَنَائيلُ مِنْ أينَ تعرفني. أجاب يسوعُ وقال لهُ قبل أن يدعُوَك فيلِبُّسُ وأنت تحتَ التينةِ رأيتُك* أجابَ نَثَنَائيلُ وقال لهُ يا معلّمُ أنت ابنُ اللهِ أنتَ ملكُ إسرائيل*أجابَ يسوعُ وقال لهُ لأنّي قلتُ لك إنّي رأيتُكَ

مصر من مكان إلى مكان عدة سنوات إلى أن بلغا برية الإسقيط، وهي تجمّعات رهبانية صغيرة في كل منها في أغلب الأحيان شيخ ومعه تلميذ أو إثنان. تجدر الإشارة إلى أن هذا النمط أسسه هناك القديس مكاريوس المصري الذي تعيّد له الكنيسة المقدّسة في ١٩ كانون الثاني.

أنعم الله على الشابين المجاهدين، في إسقيط مصر، بلقاء العديد من ألمع نساك ذاك الزمان وأكثرهم استنارة فكانت لهما من هؤلاء منافع روحية جمة. ما كان يبحث عنه القديس كاسيانوس ورفيقه هو «احتراف» التطهّر الروحي إذا صح التعبير، وهو ما يُقتنى بالاختبار المعاش والتجذر في المراحل الروحية بعمق، مرحلة تؤسس لأخرى. إذاً ما عرفه الرفيقان بالقراءة والسمع قبلاً باتا يكتشفان عمق أصوله وثناياه الخفية. بجوار هؤلاء النساك القديسين أيقن الرفيقان أن الإنسان وإن تخلى عن الماديات وزهد بكل ما هو أرضي، لا يبلغ نقاوة الروح إلا بالجهاد الصابر والحثيث ضد أهوائه، وهنا الأكثر إيلاماً، إذ إن المجاهد الروحي يصارع نفسه وعاداته المتجذرة فيه. أيقنا أيضاً أن الصلوات والأصوام وأعمال الخير وغيرها تبقى بلا ثمر ما لم تكن مصحوبة بتشذيب مستمر لأهواء النفس البشرية، التي متى تحرر القلب منها، يصبح جمراً متّقداً بحب الله ونبعاً للصلاة النقية وكل خير.

في خبرته بين نساك البرية فهم القديس كاسيانوس المعنى العملي لحرية الروح. فمتى تحرر الإنسان من رباطات الأهواء الأرضية، وهي منابع الشرور وفعل الخطيئة، يصبح هذا الإنسان كائناً «مسبّحاً» على حد تعبير القديس أثناسيوس الكبير، أي إن حياته تصبح بكل تفاصيلها تسبيحاً لله وتمجيداً لاسمه القدوس.

في حاشية صغيرة نشير إلى أن هذه التعاليم غايتها الكمال، وهو عودة الإنسان إلى ما كان عليه قبل السقوط، وهذا الكمال ليس حكراً على الرهبان أو أية فئة أخرى من الناس، «كونوا كاملين» يقول الرب يسوع نفسه، وهي وصية إنجيلية وردت بصيغة الأمر، وهي موجّهة للكل بلا استثناء. وإن كان الكمال متاحاً للكل، فهذه الجهادات التي هي السبيل إليه هي أيضاً موصوفة للكل. أليست الكبرياء والجشع والأنانية وفقدان المحبة وغيرها أهواء تحارب كل إنسان؟ كيف يكون إذاً العمل على التخلص منها حكراً على فئة من الناس دون سواهم؟ من لا تعنيه محاربة أهوائه هو إنسان يستسيغ شهواته ويؤثر البقاء فيها، فيكون إذاً عبداً للخطيئة بإرادته.

نعود إلى القديس كاسيانوس. فبعدما ملأ جعبته من الأمثلة الحية التي عاشرها واغتذى منها، انتقل مع رفيق جهاده جرمانوس إلى الحيز العملي وممارسة ما تعلّماه، والنعمة الإلهية تهديهما في تجاوز فخاخ الشرير. ناقلو سيرة القديس يشيرون إلى جهاد مرير قاساه ضد تجارب جمة منها فقدان الحماسة والإحباط. نشير هنا إلى أن هاتين التجربتين يعرفهما جيداً كل من كان جدياً في صلاته وحياته الروحية كائناً من كان.

سنوات جديدة مرت على القديس كاسيانوس ورفيقه على هذه الحال، اقتنيا خلالها اتقاناً في اصول الجهاد الروحي وعيناً ثاقبة تعرف خبايا الأهواء الهدامة وحيل الشيطان المنسابة عبرها. بعد ذلك رجع الإثنان إلى بيت لحم يلتمسان بركة رئيس ديرهما للعيش الدائم في البرية. كان لهما ما أراداه فرجعا إلى

تحت التينة آمنتَ. إنَّك ستُعاين أعظمَ من هذا* وقال لهُ الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم إنَّكم مِنَ الآن ترونَ السماءَ مفتوحةً، وملائكةُ الله يصعدون وينزِلون على ابن البشر.

تأمل

«لا موتٌ ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوّات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبّة الله التي في المسيح يسوع ربّنا» (رو ٨:٣٨-٣٩).

محبّة الله نارٌ لا تموت، تزدري بالأرضيّات، كما يعلّمنا الشهداء القدّيسون الذين ذاقوها وارتووا منها. محبّة الله رباطٌ ناعم وسيفٌ ذو حدّين لا يمكن أن ينفكّ. لقد قطع الطغاةُ أعضاء القدّيسين لكنهم لم يستطيعوا أن يفصلوهم عن محبّة المسيح. يا له من رباطٍ ناعم (رباط محبّة الله)، لا السيف قطعه ولا النار أطفأتها... من لا يعجب من ذلك، من لا يتشوّق إلى مثل هذه المحبّة؟ لقد منح الله المحبّة هذه إلى كنيسته حتى تتزيّن دائماً بها. هي عربونُ الله في النفس، عمودُها وأساسُها. هي (محبّة الله) التي جلبت إلى الأرض ابنَ الله الوحيد. بها فُتح الفردوس، بها قُيّد بربرية مصر، وفي مطلع القرن الخامس انتقلا إلى القسطنطينية ملتجئين إلى القديس يوحنا الذهبي الفم. عرف هذا القديس بما أوتي من حس إلهي قامة الصِّدِّيقين فسام جرمانوس كاهناً وكاسيانوس شماساً. فلازم هذا الأخير القديس يوحنا الذهبي الفم وكان خير تلميذ لخير معلّم. دامت هذه الحال حتى نفي الذهبي الفم إثر مؤامرات حيكت حوله قرابة العام ٤٠٥، فذهب كاسيانوس ورفيقه إلى روما في بعثة إلى البابا إينوكنديوس الأول في وساطة لدعم الذهبي الفم. في روما أمضى القديس كاسيانوس زهاء العشر سنوات، سيم خلالها كاهناً، وانتقل بعدها إلى فرنسا حيث أنشأ في مرسيليا ديراً للرهبان على اسم القديس فكتور، أتبعه بدير جديد للراهبات في المدينة نفسها. النمط الرهباني الذي أسس عليه القديس الشركتين، استمده مما تعلّمه ممن التقاهم وتتلمذ عليهم من الآباء الشرقيين. لكنه استطاع بنور الروح القدس أن يكيّف هذه التعاليم لتتلاءم وطبيعة الحياة والمناخ وغيرهما من الظروف الخاصة بتلك البلاد.

لم يكتفِ القديس كاسيانوس بإنشاء الأديرة بل وضع عدة مؤلفات فيها قوانين للحياة الرهبانية وأصول حياة الشركة والتوحّد. هذا بالإضافة إلى تعليم ثاقب حول أصول الجهاد الروحي ومراحله، والعلاجات الناجعة للأهواء الأساسية.

بعدما حمل إشعاع الروحانية الشرقية إلى الغرب كرسول غيور وثبّتها بمثاله الصالح وتعاليمه المعجونة بالنعمة الإلهية والاختبار المعاش، رقد القديس كاسيانوس رقاد الأبرار سنة ٤٣٥ للميلاد، وما زالت رفاته الطاهرة محفوظة في دير القديس فكتور في مرسيليا.

وحدة الزواج في المسيحية (تابع)

٥ - نظرة المسيحية إلى الزواج الثاني «بعد الترمل»:

تجيز المسيحية الزواج ثانية بعد الترمل ولكنها لا تستحسنه، بل تنصح بعدم قيامه، وتضعه في درجة أقل من الزواج الأول. كانت الحماسة شديدة جداً ضدّه في القرون المسيحية الأولى (ضدّ لياقته لا ضدّ شرعيته طبعاً). وقد حاول العديد من القديسين أن يثنوا المترملين عنه. حتى ان عبارة «الزواج الواحد» في استعمال الكتّاب المسيحيين في تلك العصور لم تكن تعني اكتفاء الزوج بامرأة واحدة، فلا تتعدّد زوجاته، إذ أنّ ذلك كان أمراً لا يختلف عليه اثنان، وإنما كانت في غالبية استعمالها تعني الزواج الواحد على الإطلاق سواء في حياة الزوجة أو بعد وفاتها. ومعظم الذين دافعوا عن الزواج الواحد كانوا يدعون إلى عدم الزواج بعد الترمل. كلّ هذا رغم أنّ الزواج بعد الترمل – من حيث عفته وبُعده عن شهوة الجسد – لا يقارَن بحالة الجمع بين زوجتين في وقت واحد.

القديس بولس الرسول تحدّث عن هذا الأمر في الإصحاح السابع من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس فقال «أقولُ لغير المتزوِّجينَ وللأرامل، إنَّهُ حسنٌ لهم إذا لَبثوا كما أنا. ولكن إن لم يَضبطوا أنفسهم فليتزوَّجوا» (الآيتان ٨،٩). وكرّر هذه النصيحة للمرأة المترملة فقال «لكنَّها أكثرُ غبطةً إن لبثت هكذا» (الآية ٤٠). فهو جعل البقاء في الترمل أحسن وأكثر غبطة من الزواج الثاني. وقد علّق الكثير من القديسين على أفضلية الترمل فقال القديس باسيليوس «إن الزيجات الثانية هي علاج ضدّ الزنا فهكذا قيل: إن لم

القويُّ، بها أصبحت النفسُ عروساً للختن غير المائت لكي ينظرَ كما في مرآةٍ جماله وحسنه. لقد تألّم الختنُ الطاهر من أجل تلك المحبّة. لذلك كلّ الذين يؤمنون به بالحق ويريدون أن يصبحوا ورثته، عليهم أن يذوقوا العذابات والشدائد على مثاله. كما أن المخلّص مات على الصليب وغلب مُميتاً الخطيئة بإنكاره للجسد ومحطّماً قوى العدوّ ومسمِّراً سلطته على الصليب أمام مشهد الكل، هكذا نحن أيضاً علينا أن نحتمل كلَّ ثورة وشدّة من قِبَل الشرير بشجاعة وحتى الموت لكي ننتصر عليه بالإيمان، بالصبر والرجاء بالرب.

بعد هذه الخبرة نُضحي أهلاً للخلاص فنحفظ قداسةَ الروح ونصبح ورثة الحياة الأبديّة. إذ إنه في الجهاد الروحي تتمّ الغلبة على العدو عن طريق الآلام والموت. إن تألّمنا ومتنا من أجل الرب نتغلّب على العدو بسرعة. لذلك لا تحسبوا التجارب والشدائد قاسيةً وغير محتملة. هي مناسبة للهدف المنشود إذ علينا أن نصبر على كل ثورة للعدوّ ناظرين دائماً بأعيننا إلى موت الربّ الطوعي.

القديس افرام السرياني

يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا». أمّا القديس أغسطينوس فعلّق على تعليم بولس الرسول بقوله «إن الزواج ثانية علامة على عدم ضبط النفس». كما قال أيضاً: «إن الزيجات الثانية ليست مدانة لكنها في مستوى أقل». وفسّر ذلك بقوله «عفة الزواج حسنة ولكن زهد الترمل أحسن». أما القديس أمبروسيوس معلّم القديس أوغسطينوس فقال: «لست أرفض الزيجات الثانية ولكني لا أنصح بها» واستطرد القديس يقول للمترمل: «شرعياً يمكن أن تتزوج، ولكن من المناسب أكثر أن تمتنع». الرأي نفسه عرضه القديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم فقال: «إن هذا الزواج سُمح به على الرغم من أن العفة شيء نبيل «حتى لا يسقط الضعيف في الزنا... إذ قال الرسول: خير أن تتزوج من أن تتحرّق» (١ كو ٩:٧).

بعض القديسين سمح بالزواج بعد الترمل لمن ترملوا وهم في سن الشباب، أو لم يقضوا في حياة الزيجة سوى فترة ضئيلة. وفي ذلك نصح القديس بولس من جهة «الأرامل الحَدَثات» أن «يتزوّجن ويلدن الأولاد ويدبرن البيوت» (١ تيمو ١٤:٥)، وذلك إشفاقاً عليهن.

بعض العلماء يوافقون على الزيجة الثانية بعد الترمل، بالنسبة لمَن يحتاجون إلى رعاية، في ضعف أو شيخوخة أو مرض، كما حدث لداود في شيخوخته. ذلك أن الزواج ليس لمجرد عدم ضبط الجسد، وإنما أيضاً للتعاون في الحياة «فأصنع لهُ مُعيناً نَظيرَهُ» (تك ١٨:٢).

خلاصة القول إن الكنيسة، رغم اعترافها بشرعية الزواج الثاني بعد الترمل، قد جعلته في مرتبة أقلّ وسمحت به لحالات من الضعف. فإن كانت هذه هي نظرة الكنيسة إلى مَن تزوج ثانيةً بعد وفاة زوجته الأولى فماذا يقال عن نظرتها إلى المتزوج ثالثة بعد وفاة الزوجة الثانية، أو إلى المتزوج رابعة بعد وفاة الزوجة الثالثة؟

نقرأ في الدسقولية: «الزيجة الثالثة هي علامة الغواية لمن لم يقدر أن يضبط نفسه. والأكثر من الثالثة هي علامة الزنا الظاهر والنجاسة التي لا تذكر». ويقول القديس غريغوريوس اللاهوتي في تتابع الزيجات «...الأولى هي شريعة، والثانية تسامح، والثالثة تعدٍّ وكل ما يزيد على ذلك هو شبيه بالخنازير».

أما القديس باسيليوس فيقول في قانونه الحادي عشر عمن تزوجوا للمرة الثالثة: «لم يأمر المجمع بأن يبقوا خارجاً عن الكنيسة، بل قال إنهم مثل إناء وسخ في الكنيسة». أما الذين يتزوجون للمرّة الرابعة أو الخامسة فقد أمر القديس في نفس القانون أن «يطردوا خارجاً مثل الزناة».

(يتبع)

كتاب الصلوات

لقد أعادت دار المطرانية طبع «كتاب الصلوات» بعد تنقيحه وإضافة بعض الصلوات عليه، كما أصدرت كتاباً جديداً يحتوي على صلاة النوم الكبرى وخدمة مديح السيدة العذراء. يُطلب الكتابان من كافة كنائس الأبرشية ومن مكتبة الرجاء.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb